الفكر التاريخي
عند أمير المؤمنين (عليه السلام)
في نهج البلاغة

(دراسة في ابعاد التاريخ)

المدرس المساعد

الشيخ حسن كريم ماجد الربيعي

ومحمد نعمة طاهر

(جامعة الكوفة - كلية الفقه)

الفكر التاريخي عند اميرالمؤمنين (ع)

في نهج البلاغة

(دراسة في ابعاد التاريخ)

المدرس المساعد: الشيخ حسن كريم ماجد الربيعي

المدرس المساعد: محمد نعمة طاهر

(جامعة الكوفة - كلية الفقه)

المقدمة

هذا بحث بعنوان (الفكر التايخي عند امير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة دراسة في ابعاد التاريخ)، وتأتي اهمية دراسة التاريخ كعلم انساني في تصحيح المسارات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية وتجاوز اخطاء الماضي بقراءة النصوص التراثية قراءة واعية وبعث الافكار الاصيلة التي تغير الواقع الى الاحسن والارقى بالبحث عن الاصول والاسس والعلل في حركته وقد تعددت القراءات وظهرت النظريات الفلسفية في تفسير التاريخ تفسيراً دينياً ودنيوياً ومن مختلف الاتجاهات والرؤى الا ان رؤية الامام علي (عليه السلام) هي رؤية تعبر عن اصول ومعارف ومصادر

منطلقة من النصوص القرآنية المدونة بيديه مع القرب والاقربية على من نزلت اليه وهو الرسول «صلى الله عليه واله وسلم» صاحب الاتصال السماوي، وامة تتصل بمثل هذه الرموز ينبغي لها الرفعة وهذا ما يقرره العقل قبل النقل، ومن الغريب ان التاريخ يقرأ ولا يعتبر به، وهذه هي المدونة الوحيدة في العالم منذ يوم نزولها تنقل لنا اخبار الامم السالفة ثم احداث الواقع الذي نزلت فيه ثم ما يحدث في المستقبل من احداث تغير وجه العالم، عرفت تلك الاحداث المنصرمة بالقصص القرآني منطبعة بطابع العظة والعبرة سواء تمثل الجوانب الايمانية الخيرة او الجوانب السيئة في المبدأ والخاتمة او تمثل جانب التحولات النفسية لدى بعض الشخصيات او الاقوام وهي بيان حالات اجتماعية مستقرة او متغيرة وكل هذا ليس للترف الفكري او الذكر اللساني دون العبرة والتغيير الفردي او الجماعي نحو تجاوز الاخطاء والصعود نحو سلم المجد والازدهار كل هذا نجده ايضاً في كلمات الامام علي (عليه السلام) وقد اقتصرنا على بيان ذلك في نهج البلاغة بالخصوص في ثلاثة مباحث: المبحث

الاول الماضي: وعبره، والثاني: بُعد الواقع المعاش، والثالث: بُعد المستقبل ونختم البحث بخلاصة لهذه الابعاد، ولله المنة علينا واليه المصير.

الباحثان

المبحث الاول: بُعد الماضي وعبره

ذكر الراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ): ان مضى بمعنى والمضاء النفاذ ويقال ذلك في الاعيان والاحداث[١]، قال تعالى: «وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ»[٢] وقال ايضا: «فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينِ»[٣]، هذا ما استدل به الراغب ان الماضي او مفهوم مضى نفذ كحدث انتهى ووقائع مرت لا يمكن اعادتها او تغييرها وهي التي تسمى في علم التاريخ بالمعلومة الارشيفية، ويبقى التحليل لما وراء الحدث في ابعاده الثلاثة وعناصره والظروف المحيطة بهذه

---

١ . الراغب الاصفهاني، ابو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ضبط : هيثم طعيمي، (بيروت : دار احياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ)، ص٤٩٠.

٢ . الزخرف / ٨ .

٣ . الانفال / ٣٨ .

الاحداث الماضية أي دراسة نفسية ونحن بحاجة الى الدخول في التاريخ النفسي والاجتماعي لرصد الواقع والحكم عليه، فان تشخيص الموضوع يحتاج الى تأمل ونظر واستنتاج وهي رؤية ركز عليها امير المؤمنين في جملة من خطبه وكتبه وحكمه وهو البعد الماضوي لهذه الاحداث في تاريخ البشرية.

تاريخ الوجود البشري (الحركة النبوية)

يشير امير المؤمنين (عليه السلام) الى حكمة الخلق واختيار الانبياء قبل النبي محمد «صلى الله عليه واله وسلم» بشكل متواصل لذا قال: «وواتر اليهم انبياءه»[1] أي لا يخلو الوجود من حركة الانبياء عبر الاتصال بالوحي والتبليغ لاوامر الله سبحانه وتعالى لغرض وهدف واحد تبليغ امانة الرسالة القاصدة لسعادة البشرية وكان الحكمة اكثر من التذكير لذا قال:

---

١. الشريف الرضي، ابو الحسن محمد بن الحسن الموسوي، نهج البلاغة وهو مجموع ما اختاره من كلام امير المؤمنين اب الحسن علي بن ابي طالب عليه السلام، شرح: محمد عبده، تحقيق: عبد العزيز سيد الاهل، (بيروت: دار الاندلس، ١٣٨٢هـ)، ج١، ص٣١ .

(ويذكروهم منسي نعمته،ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائن العقول، ويروهم الآيات المقدرة»[1] وقد تكون مهمة الانبياء اكثر من التذكير باثارة دفائن العقول بالنظر والتأمل والتحليل لهذه الحركة الاصلاحية وكان البشر في مسار وجوده يحتاج لمن يأخذ بيده ويحرك العقول المتواصلة مع الانبياء في الخارج وهي قد تتفاعل مع الامور النقلية ولذا حكم اهل الاصول بالملازمة المقررة عندهم «كل ما حكم به الشرع حكم به العقل وكل ما حكم به العقل حكم به الشرع» وهي مشهورة شهرة كبيرة، والعلاقة قد تكون مبنية على التذكير لهذا الجهاز الذي يحوي الدفائن ربما هي اشارة الى الكنوز المعرفية.

يخيل الينا ان ثنائية الداخل والخارج تتضح بانه: «لم يُخل سبحانه خلقه من نبي مرسل او كتاب منزل او حجة لازمة او محجة قائمة: رسل لا تقصر بهم قلة عددهم ولا كثرة المكذبين لهم: من سابق سمي له من بعده، او غابر

---

١ . المصدر نفسه، ج١، ص٣٢ .

عرفه من قبله على ذلك نُسِلت القرون ومضت الدهور وسلفت الآباء وخلف ت الانبياء»[1].

هذا التاريخ النبوي وحكمته هداية البشر ورفع شأنه بثنائية الاستجابة مع العقل لا الغرائز والشهوات التي تبعد هذه الثنائية جانباً فتتحكم الاهواء الدنيوية وتضييع الموازين العقلية ولا يثار ما دفن من العقول لعجز النبي الباطن ان يتفاعل مع النبي الظاهر (الخارجي) مع ان الحجة لله سبحانه وتعالى مع المبالغة في الاحتجاج بعدم خلو الزمان والمكان من جملة من التبليغات: النبي وكتابه، الظواهر والعقول البواطن ولكن لا يعمل احدهما بدون الانفعال والتفاعل بين الاثنين العقل والنقل ولكل مساحته وهو ما ذكره امير المؤمنين من وجود ظواهر سبقت ظهور النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) فقال: «واهل الارض يومئذ ملل متفرقة،واهواء منتشرة وطرائق متشتتة بين مشبه لله بخلقه او ملحد في اسمه او مشير الى غيره»[2].

---

١ . نهج البلاغة، جـ ١، ص٣٢ .
٢ . نهج البلاغة، جـ١، ص٣٣ .

هذه الرؤية في تقصي الاحداث العالمية لحركة النبوة حتى وصلت الى الخاتم رؤية كلية في بيان حقائق الاشياء الماضية نابعة من ادراك البعد التفسيري لنصوص القرآن الكريم، قال تعالى: «وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ»[1]، وهي اشارة الى مفهوم الظلم عند الامم المضاد لحركة الرسالات الواضحات التي ما تدعوا الا الى العدل والسماحة والمساواة وهي المشتركات العظمى بين جميع الرسالات في التاريخ البشري.

ان من جملة الاهداف الكبرى لحركة الانبياء هي تأكيد وحدة المصدر والمنهج والاهداف مع العمق التاريخي وابعاده[2]، مع اختيار مسلك هؤلاء الانبياء في تواضعهم، ويضرب الامام علي (عليه السلام) في خطبة امثلة على السلوك الفعلي لخط النبوة عن النبي موسى بن عمران

---

١ . يونس /١٣ .

٢ . الكفيشي، عامر، حركة التاريخ في القرآن الكريم، (بيروت: دار الهادي، ١٤٢٤هـ)، ص١٤٦ .

واخيه هارون (عليهما السلام) فقد دخلا على فرعون وعليهما مدارع الصوف وبايديهما العصي فشرطا له ان اسلم بقاء ملكه ودوام عزه فقال: «الا تعجبون من هذين يشرطان لي دوام العز وبقاء الملك وهما بما ترون من حال الفقر والذل فهلا ألقي عليهما اساورة من ذهب»[1]، وفي هذا النص تتضح عدة امور تعزز الحياة الاجتماعية على مستوى العلاقات بين الانبياء والملوك بين فردين الاعتدال والتفريط والتواضع والتكبر ولكن الرؤية تختلف والموازين مختلفة بين الدنيوي والأخروي فان فرعون اعظم الذهب وجمعه واحتقر الصوف ولبسه وهذه الرؤية للحياة تعبر عن التسلط والاستبداد الناتجة عن عدم فهم الوجود والموجود وغايته او بمعيارية الدنيوية فقط.

وهنا يذكر امير المؤمنين (عليه السلام) الاعتبار بالامم الماضية بنحو العبرة بهم: «فاعتبروا بما اصاب الامم المستكبرين من قبلكم من بأس الله وصولاته ووقائعه

---

١ . نهج البلاغة، جـ٣، ص٣٦٣ .

ومثلاته»[1] ثم يشير الى اصل العبرة من اخبار الماضين حيث يتذكرهم الانسان فقال: «وبقي قصص اخبارهم فيكم عبراً للمعتبرين»[2].

ثم قال في موضوع اخر: «فاعتبروا بحال ولد اسماعيل وبني اسحاق وبني اسرائيل عليهم السلام.....الخ»[3]، ثم يشير (عليه السلام) الى تسلط الاكاسرة والقياصرة الذين اتخذوا اربابا من دون الله سبحانه وتعالى[4].

ان التأمل والنظر الدقيق في حضارات الامم السالفة احياء للقلب والفكر بالاعتبار واخذ العبرة وتجاوز اخطاءهم فمن وصيته (عليه السلام) لابنه الامام الحسن (عليه السلام) يقول له في العرض القلبي: «واعرض عليه اخبار الماضين وذكره بما اصاب من كان قبلك من الاولين وسر في ديارهم وآثارهم فانظر فيما فعلوا وعما انتقلوا، واين حلوا ونزلوا فانك تجدهم قد تنقلوا عن

---

١ . المصدر نفسه، جـ٣، ٣٦٢ .
٢ . المصدر نفسه، جـ٣، ٣٧٠ .
٣ . نهج البلاغة، جـ٣، ص٣٧٠ .
٤ . للمزيد ينظر : نهج البلاغة، جـ٣، ص٣٧٠ – ص٣٧١ .

الاحبة وحلوا ديار الغربة، وكانك عن قليل قد صرت كاحدهم»[1]، وفي موضوع اخر من الوصية يذكر(عليه السلام) الاعتبار والعبرة من التاريخ: «أي بني اني وان لم اكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في اعمالهم وفكرت في اخبارهم وسرت في آثارهم، حتى عدت كاحدهم، بل كاني بما انتهى الي من امورهم قد عمرت مع اولهم الى آخرهم»[2]، وهذه الوصية فيها مضامين عالية بل هي تربية رفيعة للنفس يجدر بنا ان نضعها في مدارسنا وجامعاتنا وطرق تدريسنا لنتعلم منها الخلق الرفيع والاتصال مع الواقع الاجتماعي ونعمل بمضمونها في تجسيد دراستنا لواقع الماضين واخبارهم بل يمكن اعتماد دراسة التاريخ واحداثه للعبرة والعظة سواء دراسة تاريخ العالم الكلي او جزيئات التاريخ البشري ولكل حضارته وثقافته، وليس الاطلاع والعرض على النفس او المجتمع لغرض الترف الفكري او قضاء الاوقات بل لاستخلاص العبرة والابتعاد عن المسلك

---

١ . للمزيد ينظر : نهج البلاغة، جـ ٣، ص٤٧٥ .
٢ . المصدر نفسه، جـ٣، ص٤٧٦ .

الخاطئ فان اخبارهم عبرة وعظة لذا عد التاريخ من مصادر الوعظ وليس المقصود الوعظ الديني فقط بل الوعظ الاجتماعي لتجاوز اخطاء الماضين واختصار الزمن من المرور بنفس الحوادث لتشابه ذلك، وكثيراً ما يقع ذلك في سقوط الدول ونشوء غيرها فتمر بنفس الدائرة من دون النظر لاحداث الماضي وتجاوزها كالتقدم الذي يحصل للحضارات مع الاستفادة من تجارب الامم الاخرى وقد صرح العديد من العلماء الغربيين باخذهم من الاسلام اصوله في السياسة والتمرن وحسن ممارستهم لمبادئه وجوده استنباطهم واستخراجهم لها[1] ونقل عنهم ان الصليبين: «خرجوا من ديارهم لقتال المسلمين فاذا هم جلوس عند اقدامهم يأخذون عنهم افانين العلم والمعرفة»[2] لذلك اعدوا المناهج العلمية

---

١ . للمزيد ينظر: النائيني، محمد حسين، تنبيه الامة وتنزيه الملة، تعريب: عبد الحسين آل نجف ن تحق: عبد الكريم آل نجف، (قم: سبهر، ١٤١٩هـ)، ص٩٤ .

٢ . هرنشو، علم التاريخ، ترجمة: عبد الحميد العبادي، (القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٧م)، ص٤٨ .

لدراسة الحضارات فقد اعد المؤرخ الفرنسي فرنان برودال (١٩٠٢ – ١٩٨٥) F.BRAVDEL منهجاً في التاريخ لطلاب المدارس الثانوية الفرنسية اسماه (في نحو الحضارات)[١] ،اذا كانت مدارسهم في التعليم الاولي يدرس مثل ه ذا النوع من الكتابات التاريخية فما هو تفكيرهم في قضايا ابعاد التاريخ ووعيه،فهم لا ينكرون اسهامات الحضارات البشرية ومدى الاستفادة من ذلك وتغيير الثقافة نحو البناء الفكري والنقدي لمثل هذه الاحداث الماضية.

فان لفظ امير المؤمنين (اخبار الماضيين) هو مطلق غير محدد بحضارة دون اخرى او هو ما يتبادر الى الذهن التاريخ السياسي عند العرف العام بل يقصد منه التاريخ العام ومنه التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والتربوي وتاريخ تطور المفاهيم او تاريخ العلم بكل اشكاله وتجلياته كلها لعدة امور منها العظة والعبرة

---

١ . التيمومي، الهادي، نظريات المعرفة التاريخية وفلسفات التاريخ في العالم الغربي في النصف الثاني من القرن العشرين مختارات معربة، (تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، ٢٠٠٨م)، ص٣٠ .

والتعلم والتعليم والمعرفة ومصادرها المتعددة او بنحو التطوير الفكري والعلمي.

ان ما يذكره هنا الامام علي (عليه السلام) ينبهنا الى دراسة الظواهر التاريخية وتحليلها او جمع الابعاد لتفعيل الوعي وهذا ما نجده عند دراسة سيرة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) والائمة الهداة عليهم السلام فانهم الاسوة والقدوة بل المنار فهل يجب التمسك بهذه السيرة ام الاطلاع عليها فقط؟، وهنا تأتي اهمية الدراسة التاريخية، فان عرض اخبار الماضين الصالحين والطالحين لأعظم عبرة ليس للفرد وحده بل للامة في بيان خيارها على مفاهيم التقدم والوعي التاريخي التقدمي لا الرجعي فالتقدم اصل اصيل في الفكر الاسلامي أي التفاعل مع آليات المناهج المتطورة للتقدم ولا يجدي التمسك بالآليات القديمة التي استهلكت ولا تعد قادرة على المواصلة ومثل ذلك تجديد الفكر وآلياته في التاريخ وغيره وبالاخص في المعاملة مع التراث المعرفي والمنهجي

والمفهومي مع الحذر من السقوط فريسة للفكر الغـــربي[1] والقطيعة مع التراث الماضوي، وهنا يؤكد امير المـــؤمنين (عليه السلام) اجتياز الحاضر بالعبرة من الماضي الـــذي يحمل في طياته الحكمة والعبرة والتراث والفكر والمنهج وهو قد عاشه بقوله كاحدهم لذا قال امير المؤمنين (عليه السلام) لابنه الامام الحسن (عليه السلام): «احي قلبك بالموعظة ..... وذكره بما اصاب من كان قبلك مـــن الاولين» «واعرض عليه اخبار الماضين»[2]، فالتذكير حالة تتعامل مع النفس والتربية مصاحبة للعاطفـــة والتأمـــل والنظر وله اثر في الوعي الاجتماعي التربـــوي كتغـــيير السلوك، وربما اعطى الامام(عليه السلام) معاني الدرس النظري اولاً ثم تحول الى معنى الدرس العملي وهكـــذا يدرس علم التاريخ بنوعين:

١- التفاعل والانفعال مع الحدث التاريخي.

٢- النظر المادي للمخلفات الاثرية للاقوام الماضية.

---

١ . للمزيـد ينظـر: الجـابري، محمـد عابـد، نحـن والتراث قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٣م)، ص١٣ .

٢ . نهج البلاغة، جـ٣، ص٤٧٥ .

وقد ارجع بعض الباحثين الانهيار الامي من انه مرتبط باسباب ذاتية وموضوعية فالوصف القرآني يعد مركز القاعدة في البناء والهدم هي الاخلاق كقيمة عليا مرتبطة بواقع الممارسة والتطبيق[1].

وعرف ذلك بالسنن التاريخية وقد ذكر ذلك في القران الكريم فمثلاً العذاب المهين سنة تاريخية في القيمة والقوة من خلال ارادة الانسان وفعله[2]، قال تعالى: «ومَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ»[3] وفي نص قرآني اخر يقول الخالق عز وجل: «وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً»[4] وهنا اشكالية في تصوير هذا المفهوم القرآني حيث ان الناس ليسوا كلهم ظالمين عادة فيهم الانبياء والائمة والاوصياء هل يشمل الهلاك الجميع؟ الحقيقة ان

---

١ . الركابي، السنن التاريخية في القرآن المجيد، (بيروت: دار النهضة الاسلامية، ١٩٩٦م)، ص١٤٦ .
٢ . الركابي، السنن، ص٧٢ .
٣ . القصص / ٥٩ .
٤ . فاطر / ٤٥ .

هذا العقاب دنيوي فهي تتحدث عن النتيجة الطبيعية لما تكسبه الامة عن طريق الظلم والطغيان[1]،ان ارادة النص القرآني هو خلق مجتمع على درجة من الوعي التاريخي في الاحداث كما يقول السيد الشهيد الصدر: «انه يخلق في الانسان المسلم شعوراً واعياً على جريان احداث التاريخ متبصراً لا عشوائياً ولا مستسلماً ولا ساذجاً»[2]، ذاك الوعي الذي اشار اليه امير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته التي تسمى (الغراء) وهي من الخطب العجيبة كما يعبر عنها الشريف الرضي (ت٤٠٤هـ) فقد جاء فيها: «عبادَ الله أينَ الذينَ عُمروا فَنعمُوا، وعُلِّموا ففَهمُوا وانظرُوا فَلهُو، وسُلمُوا فَنسُوا، أمهلُوا طوِيلاً ومنِحُوا جَميلاً وحُذرُوا أليماً ووعدُوا جَسِيماً..... الخ»[3]، وبعد هذا الكلام الذي يعرض للتفكير والتأمل

---

١ . للمزيد ينظر: السيد الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية، (قم: شريعة، ١٤٢٦هـ)، ص٥٨ وما بعدها.

٢ . السيد الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية، ص٦٩ .

٣ . نهج البلاغة، جـ١، ص١٤٧ .

والنظر يعطي النتائج لهذه الجولة من الافكار في السير الصحيح الموافق لارادة الله سبحانه وتعالى «قبل قدوم الغائب المنتظر واخذة العزيز المقتدر»[1] وفي كلام له عظيم يقول: «وان لكم في القرون السالفة لعبرة، اين العمالقة وابناء العمالقة اين الفراعنة وابناء الفراعنة اين اصحاب مدائن الرس الذين قتلوا النبيين واطفأوا سنن المرسلين واحيوا سنن الجبارين.....»[2].

ماضي العرب قبل الاسلام

اشار امير المؤمنين (عليه السلام) الى تاريخ العرب قبل الاسلام وحالتهم الاقتصادية والاجتماعية وما هم عليه من احوال فذكر: «فالاحوال مضطربة والايدي مختلفة والكثرة متفرقة في بلاء ازل، واطباق جهل من بنات مؤودة واصنام معبودة، وارحام مقطوعة، وغارات مشنونة»[3]، هذه هي احوال العرب قبل الاسلام الاجتماعية والفكرية والعسكرية يصفها امير المؤمنين

---

١ . نهج البلاغة، جـ١، ص١٤٩ .
٢ . المصدر نفسه، جـ٢، ص٣٢٧ .
٣ . نهج البلاغة، جـ٣، ص٣٧١ .

(عليه السلام) ليبين التكوين الاسلامي للعرب من هذه احوالهم الى امة ذات حضارة بلغت الخافقين بفضل دعوة الاسلام، لذا كان يخاطبهم بقوله: «وانتم معشر العرب على شر دين وفي شر دار منيخون بين حجارة خشن وحيات صم، تشربون الكدر وتأكلون الجشب وتسفكون دماءكم وتقطعون ارحامكم، الاصنام فيكم منصوبة والاثام بكم معصوبه»[1]، وفي هذا النص يبين التفكير الديني العربي بهذه الحالة قبل الاسلام مع الحالة المزرية للاقتصاد وحالة الخوف والرعب اثر الغارات المتبادلة بين القبائل العربية نتيجة لسوء الحالة الاقتصادية وغياب الحكم وضياعه بين قبائل لا ترضخ الا بالقوة كعامل يستطيع السيطرة على هذه القبائل التي لا تعرف النظام والتنظيم في حياتها.

فان الاغارة والسلب من اهم وسائل العيش، والثأر عندهم من الواجبات الدينية قتل الجاني او احد افراد قبيلته، ويبدو ان العرب لم يقبلوا برجل من بلد آخر سيداً اعلى عليهم وهو موجود عند القبائل الرعوية التي

---

١ . المصدر نفسه، جـ١، ص٧٤ .

اظهرت مستوى رفيعاً من التجانس الاجتماعي فكانت تكره بنى السلطة فهم لا يعرفون المراقبين ولا الموظفين[1]، وكانوا يحتقرون المهن وهي لغيرهم[2]، وهذا التعالي لتعظيمهم شجاعة الرجال في الغزو والاغارة وهي ظاهرة متأصلة فيهم برزها امير المؤمنين (عليه السلام) بكثرة غاراتهم المشنونة، وهي غارات ذكرها امير المؤمنين (عليه السلام) في وصفة لواقعة ايام خلافته عندما شن معاوية الغارات على اطراف الدولة فعاتب اهل العراق بقوله: «حتى شنت عليكم الغارات في بلادكم.....»[3] اذ يعني ذلك ان العادات الجاهلية متأصلة في نفوسهم حتى بعد ان مدنهم الاسلام ورفع شأنهم.

---

١ . هيلند، ربت، تاريخ العرب في جزيرة العرب من العصر البرزنزي الى صدر الاسلام ٣٢٠٠ ق.م – ٣٦٠م، ترجمة: عدنان حسن مراجعة: زياد منى، (بيروت: قدمس للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م)، ص١٤٩ .

٢ . المرجع نفسه، ص١٥٠ .

٣ . الثقفي، ابراهيم بن محمد، الغارات، تحق: عبد الزهراء الحسيني، (دمشق: دار الكتاب الاسلامي، ١٩٩٠م)، ص٣٢٦ .

يقول امير المؤمنين (عليه السلام) عن ظاهرة انتشار الحفظ الشفوي بلا قراءة لكتاب فهي امة حافظة من دون ذلك: «وليس احد من العرب يقرأ كتاباً ولا يدعي نبوة»[1]، ويدل هذا اننا لم يصل الينا من نتاجاتهم على شكل مخطوط فنعرف هذه النتاجات ونقرأها الا ما حفظ ودون بعد ذلك نقلا من تاريخهم المحفوظ في الصدور.

ثم يصف (عليه السلام) الناس قبل البعثة بقوله: «والناس ضلال في حيرة، وخابطون في فتنة، قد استهوتهم الاهواء، واستزلتهم الكبرياء واستخفتهم الجاهلية الجهلاء، حيارى في زلزال من الامر، وبلاء من الجهل»[2]، هذه هي حياتهم الاجتماعية، اما حياتهم الاقتصادية فقد اشار اليها امير المؤمنين(عليه السلام) اذ وصفها وصفاً واضحاً معللاً سبب فقرهم وتفرقهم هو تسلط القوى الكبرى عليهم وازاحتهم الى المناخات القاسية كما تتسلط قوى الاستكبار العالمية اليوم بحجج براقة من العولمة والحداثة والتطور والحرية وغيرها من

---

١ . نهج البلاغة، جـ١، ص٨٩ .
٢ . نهج البلاغة، جـ١، ص١٨٧ .

المفاهيم الفضفاضة مع انها تحتقر غيرها بجعل المركزية الغربية هي المرجعية العالمية لبني البشر، يصف امير المؤمنين (عليه السلام) حالة العرب مع القوى الكبرى من القياصرة والاكاسرة وما فعلوه بهم فقال: «تأملوا في حال تشتتهم وتفرقهم ليالي كانت الاكاسرة والقياصرة اراباباً لهم، يحتازونهم عن ريف الآفاق وبحر العراق وخضرة الدنيا الى منابت الشيح ومهافي الريح ونكد المعاش، فتركوهم عالة مساكين اخوان دبر ووبر، اذل الامم داراً واجدبهم قراراً لا يأوون الى جناح دعوة يعتصمون بها، ولا الى ظل الفة يعتمدون على عزها.....»[1]، وهذا المقطع من الخطبة المعروفة بالقاصعة – سميت بذلك لانه (عليه السلام) حقر حال المتكبرين[2]– بين فيها احوال العرب في ظل القوى الكبرى من الفرس والروم، ودخلت المناذرة والغساسنة في احلاف الدول الكبرى وكانت حطبا بين القوتين انذاك فقد تورطوا في هذا الصراع فلما عين الامبراطور

---

١ . نهج البلاغة، جـ٣، ص٣٧٠ .
٢ . المصدر نفسه، جـ٣، ص٣٥٦، هامش الخطبة .

الفارسي كاواد المنذر سيداً على العرب في الاراضي الفارسية وبالمقابل جمعت مختلف القبائل الموالية للبيزنطيين تحت زعيم واحد هو الحارث بن جبلة ومنح لقب الملك[1]، ولذا كان الصراع بين القبائل العربية وليس بين الفرس والروم وكانت على رأي ربرت هيلند ان هذه الامارات تسكن في الخيم مميزاً السكان من المسيحيين انهم يسكنون في بيوت دائمة[2]، وهو ليس بصحيح فان المناذرة ملوك الحيرة كانت لهم قصور ومبان مشهورة ومعروفة، الا ان امير المؤمنين (عليه السلام) يريد الاشارة ان الفرس والروم قد استغلوا هذه الكيانات المصطنعة وابعدوا جملة العرب عن هذه المناطق الخصبة ذات المناخ الجميل الى مناطق ذات مناخ قاس وصحراء كبيرة يندر وجود الزراعة فيها والمياه الا من بعض العيون التي يبحث عنها العربي لتأمين عيشه فيها وانه لا يستطيع الوصول الى اماكن تواجد الموالين لهاتين القوتين، فاصبحوا متفرقين في الصحراء العريضة من شبه

---

١ . هيلند، تاريخ العرب، ص١١١ .
٢ . المرجع نفسه، ص١١٢ .

الجزيرة العربية. وعلى هذا يدرس الماضي ويعتبر به فان الابعاد التاريخيةدائماً في سير فتمضي الازمنة الثلاثة وتطوي الاوقات تغير مستمر بلا استراحة وسير دائب بلا وقفة[1].

المبحث الثاني: بعد الواقع المعاش (الحاضر)

تأطر واقعه (عليه السلام) بجملة من العلاقات الاجتماعية بينها بوضوح وبشكل جلي بجميل العبارة، فلا تقبل اللبس والتأويل الا بما هو كلام البلاغة العربية واساليبها المتنوعة، وفي هذا المبحث نأخذ جملة هذه العلاقات كملامح تذكرية يمكن ان يسعها غير هذا البحث وذلك لطول الوقوف عندها.

اولاً: علاقته برسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)

اوضح تلك العلاقة بالقرابة القريبة في المنهج والتربية والسلوك بل امتزجت النفوس، فقد قال في خطبته القاصعة: «وقد علمتم موضعي من رسول الله (صلى الله

---

١ . المطبعي، حميد، العلامة الدكتور حسين علي محفوظ، (بغداد: دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٩م)، ص١٥٣ .

عليه واله وسلم) بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وانا ولد يضمني الى صدره ويكنفني في فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه»[1]، وهذا النص يؤكد نوع العلاقة الحميمة بين الاثنين وهي مما لا يقبل الشك والريب لمن تتبع سيرته المتطابقة مع فعل وقول وتقرير الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) ونقلت كتب المسلمين الاحاديث الكثيرة في بيان تلك العلاقة، يقول الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) في تاريخ بغداد في ترجمته (عليه السلام): «ومناقبة اشهر من ان تذكر وفضائله اكثر من ان تحصر»[2].

ان هذه العلاقة التي عرفها الجميع ينقلها امير المؤمنين (عليه السلام) لنا بأجمل صورة بلاغية تأخذ بالقلوب وترتفع بالايمان، فهو يصف العلاقات المتبادلة فينقل عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) صورته عنه فيقول:

---

١ . نهج البلاغة، جـ٣، ص٣٧٣ .

٢ . الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي، تاريخ بغداد مدينة السلام، تحق: صدقي جميل العطار، (بيروت : دار الفكر، ١٤٢٤هـ)، جـ١، ص١٠٨ .

«وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل»[1]، ثم يقول: «ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه، يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علماً»[2].

هذه هي التربية النبوية وهذا هو الحال (الحاضر) وهو الواقع المعاش الذي عاشه امير المؤمنين في علاقته مع النبوة وقربه منها، ثم يصف هذه العلاقة باعلى من ذلك فيقول: «ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وخديجة وانا ثالثهما ارى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة»[3]، من نال مثل هذه العلاقة بالاقربية الفعلية المادية والمعنوية وهي دلالة على الاولوية على غيره مهما قرب من ذلك.

وقد بادله الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) هذه العلاقة من الحب والمودة والاخلاص فقال له (صلى الله

---

١ . نهج البلاغة، جـ٣، ص٣٧٣ .
٢ . المصدر نفسه، جـ٣، ص٣٧٤ .
٣ . نهج البلاغة، جـ٣، ص٣٧٤ .

عليه واله وسلم): «انك تسمع ما اسمع وترى مـــا ارى الا انك لست بنبي ولكنك لوزير وانك لعلى خـــير»[1]، وقد تكرر لفظ الوزير في عدة مواضع من حياة رســـول الله (صلى الله عليه واله وسلم) مع ان العرب لم تعـــرف نظام الوزارة في حياتها السياسية، قال تعالى: «وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي»[2]، يقـــول الراغـــب الاصـــفهاني (ت ٥٠٢هـــ) في مفرداته: «والوزير المتحمل ثقـــل امـــيره وشغله»[3]، والامام هو المتحمل عن الرسول ثقله وشغله، هذه العلاقة المتبادلة منذ بداية الولادة ينم على التأمـــل والنظر في جذورها والتعلق بها فهذا النوع من العلاقـــة التي ايدها النص القرآني في آية المباهلـــة اذ عـــبر عنـــه بالنفس وهي اعلى مستوى للعلاقات بين الناس، قـــال تعالى: «وانفسنا وانفسكم»[4] اذ جعل النبي والامام نفس

---

١ . المصدر نفسه .
٢ . طه / ٢٩ .
٣ . الراغب الاصفهاني، المفردات، ص٥٤٥ .
٤ . آل عمران / ٦١ .

واحدة وذكر ذلك المفسرون من المسلمين في كتبهم التفسيرية قديماً وحديثاً.

وعند الوقوف على كلامه (عليه السلام) وهو ينطق بـ: «اشهد ان لا اله الا الله، شهادة ايمان وايقان واخلاص واذعان، واشهد ان محمداً عبده ورسوله، ارسله واعلام الهدى دارسة ومناهج الدين طامسة فصدع بالحق ونصح للخلق وهدى الى الرشد وامر بالقصد (صلى الله عليه واله وسلم)»[1]، ولفظة مناهج قد استعملها امير المؤمنين في خطابه هذا وربما يعد اقدم من ذكرها في الفكر الاسلامي وهي ذات دلالات في عصرها لان المفاهيم تتطور، ولكن لفظة مناهج هي اليوم ذات قيمة علمية رفيعة في البحث العلمي.

واستعمل (عليه السلام) لفظ منهج ويعني به الطريق معبراً عن بعثة النبي (صلى الله عليه واله وسلم): «بعثه حين لا علم قائم ولا منار ساطع ولا منهج واضح»[2]، ثم بين نوع العلاقة والاتباع المملوء ثقة ويقين لا اتباع عن

---

١ . نهج البلاغة، جـ٣، ص ٣٨٣ .
٢ . نهج البلاغة، جـ٣، ص٣٨٥ .

عمى بل عن يقين واعلى منه وهو يعلن خطابه الـــواقعي امام الصحابة بانه قال: «لم ارد على الله ولا على رسوله ساعة قط، ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تـــنكص فيها الابطال، وتتأخر فيها الاقدام نجـــدة اكـــرمني الله بها»[1]. هذا النص يشير الى معنى الاقربية الحقيقية بينهما فقد بدأت منذ الولادة ثم انتهت العلاقة كما بدأت فقد عبر عنها: «ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه والـــه وان رأسه لعلى صدري ولقد سالت نفســـه في كفـــي فمررتها على وجهي..... فمن ذا احق به مـــني حيـــاً وميتاً»[2]، والكلام الاخير نتيجة لما قبلها فهـــو الاحـــق والمقدم على غيره في هذه العلاقة التي جعلت منه امامـــاً يسير على هدى الرسالة لا يخالفها وهو الاحق بالاتباع من غيره.

وقال وهو يغسله: «بابي انت وامي يا رسول الله، لقـــد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والابناء

---

١ . المصدر نفسه، جـ٣، ص٣٨٦ .
٢ . نهج البلاغة، جـ٣، ص٣٨٥ .

واخبار السماء.....الخ»[1]، وقد تناول الامام (عليه السلام) في خطبه وكلامه مفاهيم هذه العلاقة في اغلب فصول الكتاب مبيناً شكل هذه العلاقة بينهما فلا يبقى مجالاً للشك من انه ازاح الشكوك والشبهات حول هذه العلاقة التي كانت المسار الحقيقي لمن يريد معرفة الاسلام والسير على خطاه، ومن الغريب من بعض الكتاب المعاصرين انه يعنون في بعض فصول كتابه ان علياً (عليه السلام) اراد الدنيا ولن ترده ثم ينقل كلامه بشكل غير موضوعي عن الاحداث التي وقعت والحروب التي دارت بين المسلمين والنتائج المترتبة من خياله مع قشرية الرؤية بلا معرفة حقيقية وبيان لتلك العلاقة الحقيقية والممارسات الفعلية على مستوى التطبيق لتظهر الحقيقة[2].

---

١ . المصدر نفسه، جـ٣، ص٤٣٥ .

٢ . للمزيد ينظر: ابن قرناس، سنة الاولين تحليل مواقف من الدين وتعليلها، منشورات الجمل، ٢٠٠٨م، ص٤٧٨ – ص٤٨٨.

ثانياً: علاقته بالصحابة

وفي بيان حاضره وواقعه كان يصف الصحابة وعلاقته بهم مع بيان الحق مهما كانت النتائج، وهنا يعرض مفهوم اهل البيت وعلاقة الصحابة بهذا المفهوم ومدى ثقافتهم بهذا المفهوم على مدى واقعة وحاضره ومن هم الذين يتمسكون بهذا المفهوم نظرياً وعملياً لذا ذكر في بعض خطبه هذه العلاقة بينه وبينهم: «انظروا اهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا اثرهم....»[1]، ثم يصف اصحاب النبي (صلى الله عليه واله وسلم) باجمل وصف اذ يقول: «لقد رأيت اصحاب محمد (صلى الله عليه واله وسلم) فما ارى احداً يشبههم منكم....»[2]، ثم يعدد صفاتهم من الورع والزهد والرقة والصبر والشجاعة وغيرها من الصفات التي فقدت في الذي يراهم في خلافته ففي معركة صفين ذكر اصحاب محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بقوله: «ولقد كنا مع رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، نقتل آباءنا

---

١ . نهج البلاغة، جـ١، ص١٩٠ .
٢ . المصدر نفسه .

وأبناءنا واخواننا واعمامنا ما يزيدنا ذلك الا ايماناً وتسليماً.....»[1].

وقال يوماً لابي ذر الغفاري: «انك غضبت لله، فارج من غضبت له، ان القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك، فاترك في ايديهم ما خافوك عليه.... لا يؤنسنك الا الحق ولا يوحشك الا الباطل، فلو قبلت دنياهم لاحبوك ولو قرضت منها لأمنوك»[2]، وترحم على احد الصحابة وهو خباب بن الارت (ت ٣٧هـ)[3]، فقال: «يرحم الله خباب بن الارت فلقد اسلم راغباً وهاجر طائعاً وقنع بالكفاف ورضي عن الله وعاش مجاهداً»[4].

---

١ . المصدر نفسه، جـ١، ص١١٢ .

٢ . المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٤١ .

٣ . هو خباب بن الارث من بني سعد بن زيد مناة حليف لبني زهرة كنيته ابو يحيى مات بالكوفة منصرف الامام من صفين وصلى عليه امير المؤمنين ودفن بالكوفة، ابن حبان، ابو حاتم محمد، تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الاخبار، تحق: بوران الضناوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ)، ص٨٨ .

٤ . نهج البلاغة، جـ٤، ص٥٧٤ .

ولما توفي سهل بن حنيف الانصاري[1] بالكوفة بعد مرجعه معه من صفين وكان احب الناس اليه، قال عنه: «لو احبني جبل لتهافت» يشير الى ان المحنة تغلظ عليه فتسرع المصائب اليه[2]، وقال للاشعث بن قيس[3] وقد عزي عن ابن له توفي: «يا اشعث ان صبرت جرى عليك القدر وانت مأجور وان جزعت جرى عليك القدر وانتم مأزور»[4].

وقال لانس بن مالك (ت٩١هـ) بعد ما بعثه الى طلحة والزبير ليذكرهما بما سمع من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ولكنه رجع مدعياً انه نسى فرد عليه امير

---

١ . هو سهل بن حنيف بن واهب بن الحكيم كان من البدريين سكن الكوفة ومات فيها وصلى عليه امير المؤمنين عليه السلام سنة ٣٨هـ، ابن حبان، تاريخ الصحابة، ص١٢١ .

٢ . نهج البلاغة، جـ٤، ص٥٨٥ .

٣ . الاشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي، سكن الكوفة وشهد صفين مع امير المؤمنين عليه السلام وكانت ابنته عند الامام الحسن عليه السلام مات بعد شهادة الامام باربعين ليلة، ابن حيان، تاريخ الصحابة، ص٣٥ .

٤ . نهج البلاغة، جـ٤، ص٦٢٥ .

المؤمنين (عليه السلام): «ان كنت كاذباً فضربك الله بها بيضاء لامعة لا تواريها الممامة [كذا] والصحيح في النسخ العمامة[1].

وقال لجابر عبد الله الانصاري (ت٧٩هـ): «يا جابر قوام الدين والدنيا باربعة: عالم مستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف ان يتعلم وجواد لا يبخل بمعروفه، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه، فاذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل ان يتعلم، واذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه»[2].

وهناك العديد من الالفاظ البلاغية التي توضح مراداته من هذه العلاقة التي يراها ان تتبع امر الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في معرفة حقه وشخصيته في اقامة العدل واسس الاسلام وقواعده، ولكنه رآى غير ذلك فعبر بعدة خطب لا يسع ذكرها في هذا البحث.

ونقل ابن سينا حديثاً في رسالته المعراجية المكتوبة باللغة الفارسية عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) يدعو

---

١ . المصدر نفسه، جـ٤، ص٦٢٨ .
٢ . المصدر نفسه، جـ٤، ص٦٢٨ .

امير المؤمنين الى التقرب الى الله بالعقل فاورد احد المحشين على هذه الرسالة بان امير المؤمنين بين الصحابة عقل وغيره حس وهم بحاجة الى العقل لانهم حواس[1].

ثالثاً: علاقته بأعدائه

تمتع امير المؤمنين (عليه السلام) باخلاق الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وبأصل تربيته حتى مع اعدائه وعلاقته بهم، ومن تصرفه هذا نعلم حركة المعصوم في السلوك الفعلي الاجتماعي مع الاعداء والاصدقاء، وهنا سنبين بعض هذه المواقف الانسانية قبل اتخاذ قرار الصراع، فان النزعة الانسانية عرفها امير المؤمنين منذ ان عرف الاسلام، فانه يخاطب الناس بهذه النزعة التي رفع شعارها الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) فان فعلهم حجة وهدي الى الصراط المستقيم الدنيوي والاخروي، اما ما نراه من فعل المسلمين من القسوة والعنف فهو من فعلهم لا من نظرية الاسلام ابداً.

---

١ . آملي، جوادي، الحكمة النظرية والعملية في انهج البلاغة، (قم: ذوى القربى، بلا)، ص٣٢.

قال (عليه السلام) لطلحة والزبير: « لقد نقمتما يسيراً، وارجأتما كثيراً الا تخبراني أي شيء كان لكما فيه حق دفعتكما عنه ؟ .... والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية اربة، ولكنكم دعوتموني اليها وحملتموني عليها.....»[1]، ثم يقول في موضع اخر: «وانهم ليطلبون حقاً هم تركوه ودماً هم سفكوه....»[2]، وهنا يصف واقع البيعة له من هؤلاء الذين نكثوا بيعته ثم خرجوا عليه وكانت معركة الجمل وهو يصف اثرها في مقتل الخليفة عثمان وفي بيعته لكن امير المؤمنين يشير في اغلب كلامه الى كوامن النفس البشرية للوصول الى غاياتها على نحو الترتب، لذا قال في اخر كلامه: «اخذ الله بقلوبنا وقلوبكم الى الحق....»[3].

ومن نزعته الانسانية وقد سمع بعضهم يسبون اهل الشام فقال: «اني اكره لكم ان تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتهم اعمالهم وذكرتم حالهم كان اصوب في القول

---

١ . نهج البلاغة، جـ٣، ص٣٩٧ .
٢ . نهج البلاغة، جـ٢، ص٢٤٨ .
٣ . المصدر نفسه، جـ٢، ص٣٩٨ .

وابلغ في العذر وقلتم مكان سبكم اياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم واصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به»[1].

واما علاقته مع الخوارج فقد ارسل اليهم عبد الله بن عباس للاحتجاج والمناظرة واوصاه بقوله: «لا تخاصمهم بالقرآن، فان القرآن حمال ذو وجوه، تقول ويقولون ولكن حاججهم بالسنة فانهم لن يجدوا عنها محيصاً»[2]، وهي اشارة عظيمة لمن يشتغل بالتشريع الاسلامي فان السنة تتكلم عن الجزئيات وتفصيلاتها فلا مرد من الانصياع لها في حين ان القرآن هو القانون الاساس العام الذي يحتاج من يشرحه ويفسره ويذكر فيه مواطن التطبيق الفعلي على مستوى الواقع الذي لا ينكر.

وقد كتب لمعاوية كتاباً ذكر في ذيله: «واقبل الي في وفد من اصحابك»[3]، اشارة الى روح النزعة الانسانية

---

١ . نهج البلاغة، جـ٣، ص٣٩٩ .
٢ . المصدر نفسه، جـ٤، ص٥٦٣ .
٣ . المصدر نفسه، جـ٤، ص٥٦٢ .

الخالصة وحقن دماء المسلمين، ورد على معاوية في رسالة جوابية قائلاً: «اما بعد فانا كنا نحن وانتم على ماذكرت من الالفة والجماعة ففرق بيننا وبينكم امس أنا آمنا وكفرتم واليوم انا استقمنا وفتنتم وما اسلم مسلمكم الا كرهاً»[1].

ومن كتاب ارسله الى طلحة والزبير جاء في اخره: «فارجعا ايها الشيخان عن رأيكما فان الآن اعظم امركما العار من قبل ان يتجمع العار والنار والسلام»[2].

وقد رد على معاوية في دعوته الى حكم القرآن قوله: «وقد دعوتنا الى حكم القرآن ولست من اهله ولسنا اياك اجبنا ولكننا اجبنا القرآن في حكمه»[3].

وهذه الممارسات من امير المؤمنين (عليه السلام) تحتاج الى دراسة حفرية في الفقه السياسي من منطلق نظرية الاسلام واسسه في التعامل مع الاحداث أي تعامل الحاكم السياسي في الواقع المعاش وكيفية اتخاذ القرارات

---

١ . المصدر نفسه، جـ٤، ص٥٥٠ .
٢ . المصدر نفسه، جـ٤، ص٥٤١ .
٣ . نهج البلاغة، جـ٤، ٥١٣ .

على اسس القانون الاسلامي وعلى راس هذا القانون القرآن الكريم.

وهناك العديد من الارشادات والاحكام التي تبناها الامام (عليه السلام) مع من خالفه واعلن واكتم العداء له، موزعة في مطاوي كتاب نهج البلاغة.

رابعاً: علاقته باصحابه ومحبيه

كانت العلاقة بينه وبين اصحابه ومحبيه علاقة الايمان والمحبة الواجبة والاطاعة لله ولرسوله ومحبته لهم، فنراه يقول ويتحسر: «اين اخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق ؟ اين عمار ؟ واين ابن التيهان؟ واين ذو الشهادتين ؟ واين نظراؤهم من اخوانهم الذين تعاقدوا على المنية....اوه على اخواني الذين تلوا القرآن فاحكموه وتدبروا الفرض فاقاموه احيوا السنة واماتوا البدعة دعوا للجهاد فاجابوا ووثقوا بالقائد فاتبعوه»[1].

هذه العلاقة بينه وبينهم قد بنيت على اسس الايمان والتقوى ومثل هذه العلاقات لا تتزحزح ابداً مهما

---

١ . نهج البلاغة، جـ٢، ص٣٢٩ .

كانت الاحوال والظروف لذا كان يقول لهم: «انتم الانصار على الحق والاخوان في الدين»[1]، ومفهوم الاخوان في الدين من اعظم المفاهيم في النظرية الاسلامية الذي يحفظ البنية الاجتماعية للامة الاسلامية.

وقد اشار الى اصحابه في التعاون بينهم في ساحة الحرب وغيرها[2] في عدة خطب وكلام له.

وفي كلام قاله لاصحابه وهو يحثهم على الجهاد وهو من روائع كلامه (عليه السلام): «ولا تجتمع عزيمة ووليمة»[3] وعلق الشيخ محمد عبده في الهامش شارحاً لهذه العبارة بقوله: «أي لا يجتمع طلب المعالي مع الركون الى اللذائذ»[4].

ووصف محبيه ومبغضيه بكلام فقال: «لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على ان يبغضني ما ابغضني، ولو صببت الدنيا بجماتها على المنافق على ان يحبني ما

---

١ . المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٢٦ .
٢ . المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٣٢ .
٣ . المصدر نفسه، جـ٣، ص٤٤١ .
٤ . هامش نهج البلاغة، جـ٣، ص٤٤١ .

احبني، وذلك انه قضي فانقضى على لسان النبي الامي (صلى الله عليه واله وسلم) انه قال: يا علي لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق»[1].

وبهذا النص تتضح علامة الايمان وعلاقة النفاق وربما التوفيق في الاخذ على هدى الامام ممن يتركه ويتبع غيره ويمكن اعتماد ذلك في وسائل تقويم رجال الاسناد مع المتون، فهي قاعدة فكرية وعلمية وضعها الرسول (صلى الله عليه واله وسلم).

وقال لاحد اصحابه: «طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الاخرة، أولئك قوم اتخذوا الارض بساطاً وترابها فراشاً وماءها طيباً، والقرآن شعاراً والدعاء دثاراً ثم قرضوا الدنيا قرضاً....»[2].

هذه الثنائية هي ثقافة المسلم ثم ترجيح المنافع والمصالح الاخروية على المنافع والمصالح الدنيوية بالزهد في الثانية والرغبة في الاولى لعدة مرجحات يتبعها العقل ويرشدها النقل وفي عصرنا انتهى الصراع الى العقل وازاحة النقل

---

١ . المصدر نفسه، جـ٤، ص٥٧٤ .
٢ . نهج البلاغة، جـ٤، ٥٨٣ .

في العالم المتطور اليوم فوجدت العدمية الوجودية والعلمانية والماركسية والكثير من هذه الاسماء، نحن نعيش في عصر همش واقصي النقل وكاننا خلقنا انفسنا بايدينا،ان النقل لن يقيل العقل بل يرشده ويأمره[1]، قال تعالى: «اعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ»[2]، يقول زكي نجيب محمود: «ان الاسلام مجموعة من القيم التي لا احسب عاقلاً على وجه الارض يرفض شيئاً منها من حيث هي مثل عليا»[3].

وخرج (عليه السلام) مع كميل بن زياد النخعي وهو من اصحابه ومحبيه فبلغه من علمه ودعاءه ما خُلد به ذكره ونحن نلهج اليوم بذكر الكلمات والدعاء بل الملايين اليوم يقرؤون دعاءه الذي علمه اياه، هذه الكلمات التي طرقت سمعه هي تطرق سمعنا اليوم: «يا كميل العلم خير من المال، العلم يحرسك وانت تحرس

---

١ . الربيعي، حسن كريم ماجد، النقل والعقل دراسة في حاجة العقل للنقل، بحث غير منشور وغير مرقم .

٢ . الحشر، آية ٢.

٣ . محمود، زكي نجيب، تجديد الفكر العربي، (بيروت : دار الشروق، ١٤٠٢هـ)، ص٦٨.

المال، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق....الخ»[1].

وعلّم كاتبه جودة الخط فقال: «الق دواتك واطل جلفة قلمك وفرج بين السطور، وقرمط بين الحروف فان ذلك اجدر بصباحة الخط»[2] والنص يشير الى اهتمامه بفن الخط العربي وهذه اشارات جمالية فنية رائعة تؤكد اهتمامات الامام بالكتب والمراسلات في العلاقات الدبلوماسية مع خصومه واصحابه وولاته.

وفي بيان المعيارية في التعامل الاسري قال لبعض اصحابه: «لا تجعلن اكثر شغلك بأهلك وولدك: فان يكن اهلك وولدك اولياء الله فان الله لا يضيع اولياءه وان يكونوا اعداء الله، فما همك وشغلك باعداء الله؟»[3].

واعظم ما جاء في الفقه السياسي عهده لمالك الاشتر في ادارة مصر، وهو يصلح على عمومه في ادارة الدول

---

١ . نهج البلاغة، جـ٤، ص٥٩٤ .
٢ . المصدر نفسه، جـ٤، ص٦٢٩ .
٣ . نهج البلاغة، جـ٤، ص٦٣٦ .

الحديثة[1]، فقد جاء فيه التخطيط والتنظيم وقيادة الشعب والرقابة وموانع القيادة[2]، والعهد قد شرحه العديد من العلماء بل اعتمد عليه الكثير من اهل القانون ومن كتب في السياسة واعتبره الشيخ محمد حسين النائيني رحمه الله في كتابه المعروف (تنبيه الامة وتنزيه الملة) بل عد نهج البلاغة مع العد من مصادر علم السياسة.

كان امير المؤمنين (عليه السلام) يحب مالك الاشتر فلما جاء نعيه قال: «مالك ومالك، والله لو كان جبلا لكان فنداً، ولوكان حجراً لكان صلداً لا يرتقيه الحافر ولا يوفي عليه الطائر»[3].

خامساً: علاقته بعائلته

يذكر الامام (عليه السلام) في واقعة الاسري الحرص على امتداد الرسالة الاسلامية بابنيه الامامين الحسن

---

١ . للمزيد ينظر: نور الدين ن عباس، عهد امير المؤمنين الى القادة والمسؤولين، (بيروت: مركز بقية الله الاعظم، ١٩٩٨م).

٢ . المرجع نفسه، ص١٣٩ – ص ١٤٤ .

٣ . نهج البلاغة، جـ٤، ص٦٥٦ .

والحسين عليهما السلام، ففي بعض ايام صفين وقد رأى الحسن (عليه السلام) يتسرع الى الحرب فقال: «املكوا عني هذا الغلام لا يهدني فانني انفس بهذين – يعني الحسن والحسين عليهما لاسلام – على الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم»)[1]، وهو اشارة مهمة في امتداد خط الرسالة الاسلامية بهما وبوجودهما لانهما سيدا شباب اهل الجنة كما هو في الاحاديث المتفق عليها بين المسلمين وان وردا بالفاظ تدل على معاني قربهم من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ليس القرب النسبي وحده بل القرب المعنوي والرسالي، وقد ورد في البخاري (ت ٢٥٦هـ) قول رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لهما:«هما ريحانتي من الدنيا»[2] ووصف آل محمد «صلى الله عليه واله وسلم» باعظم وصف فقال: «عقلوا الدين عقل وعاية، لا عقل سماع ورواية، فان رواة العلم كثير

---

١ . نهج البلاغة، جـ٣، ص٣٩٩ .

٢ . البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، المثنى به : محمد محمد تامر، (القاهرة: مؤسسة المختار، ١٤٢٤هـ)، ج٢، ص٨٥٠.

ورعاته قليل»[1]، ان مفهوم العقل النظري والعملي هو عقل الوعاية والرعاية وهي مفاهيم يشير اليها الامام امير المؤمنين (عليه السلام) أي العمق لا الفهم القشري السطحي الذي ابتلت به الامة حتى يومنا هذا.

قال بعض المعاصرين: «ان مطلق الادراك والارشاد انما هو من العقل النظري فهو بمنزلة المشير الناصح والعقل العملي بمنزلة المنفذ الممضي لاشاراته وما ينفذ فيه الاشارة فهو قوة الغضب والشهوة»[2].

وقبل شهادته كتب وصيته وجاء فيها: «اوصيكما وجميع ولدي واهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم امركم وصلاح ذات بينكم.... والله الله في القرآن.... في الصلاة..... في بيت ربكم..... في الجهاد»[3].

---

١ . نهج البلاغة، جـ٣، ص٤٣٩ .

٢ . السند، محمد، العقل العملي دراسة منهجية في الحسن والقبح العقليين والبرهان في الجزئيات والادراكات الاعتبارية، (قم : منشورات الاجتهاد، ١٤٢٩هـ)، ص٢٣٥.

٣ . نهج البلاغة، جـ٤، ص٥١١ .

ومن اعظم الوصايا وصيته لابنه الحسن (عليه السلام) وهي وصية احتوت مضامين عالية جداً تستحق ان تكون من طرائق التدريس في التربية والتعليم العالي الجامعي بخصوص علاقة الاب بابنه واسرته وكيف يقدم له الوصية المكتوبة وكيف يعرف فلسفة هذه الحياة وثقافة الاسلام فيها، فقد جاء في بعض فقراتها: «احي قلبك بالموعظة وامته بالزهادة، وقوه باليقين ونوره بالحكمة وذلله بذكر الموت.....الخ»[1]، تتحدث الوصية المكتوبة في عدة ابعاد من اهمها الابعاد الفكرية والتاريخية للحياة وكيف يسير الانسان في خضم هذه الاحداث التي تواجهه؟، ان مفهوم الاحياء الذي ذكره الامام (عليه السلام) يوحي الى تجديد الفكر دائماً والا كيف يحيى قلبه فآليات الحياة في تجدد كيف لا يتجدد الفكر بآلياته الجديدة والتي هي انجع واقرب، كالمعلومة الان التي اصبحت اسهل ما يمكن بمجرد ضغطة زر فينفتح العالم امامك لتقطف ما تريد من المعلومات وتحمل

---

١ . المصدر نفسه، جـ٣، ص٤٧٥ ؛ للمزيد ينظر : المصدر نفسه، جـ٣، ص٤٧٣ – ص٤٩٠ .

ما تشاء وانت في بيتك جالس او قائم او أي صورة انت فيها، في حين كانت في زمن مضى تستغرق الايام والليالي.

جاءت في هذه الوصية عدة مفاهيم للكون والحياة والواقع والاختيار والاخبار في ابعادها وعناصرها، وحلول السلوك العام والخاص، ومن اعلاها القيم الاخلاقية المرتبطة ارتباطا واقعيا مع الارادة الظاهرة والباطنة للنفس الانسانية مع الجمع بين العمل الدنيوي والاخروي بما يوصل الى الاخرة دار المقامة.

وفي كلام له لابنه محمد بن الحنفية يصف آفة الفقر في المجتمع واثرها في الواقع الاجتماعي قال (عليه السلام): «يا بني اني اخاف عليك الفقر فاستعذ بالله منه، فان الفقر منقصة للدين مدهشة للعقل داعية للمقت»[1].

وهنا حذر الامام من آفة الفقر التي تشغل فكر الانسان عن الدين وتدهش حركة العقل عن التفكير الا بما يشغله بسد رمق الحياة بل ربما يتحول الانسان الى مجرم متحلل من القيم والروابط وهي ردة فعل سببها الفقر

---

١ . نهج البلاغة، جـ٤، ص٦٣٠ .

والعوز وهو لا ينتظم مع الحياة الفكرية والعلمية فتتجمد القوى الفكرية وتشتغل القوى العضلية.

وفي تعبيره عن مقتل محمد بن ابي بكر الذي كان يحبه بل يعتبره من اهله قوله: «ان حزننا عليه على قدر سرورهم به، الا انهم نقصوا بغيضاً ونقصنا حبيباً»[1].

وفي مجال الفقه كتب وصيته بما يعمل في امواله وقد اعطى الحق للامامين الحسن والحسين عليهما السلام في القيام بتنفيذها ثم علل ذلك بعد ان ذكر: «وان لابني فاطمة من صدقة علي مثل الذي لبني علي واني انما جعلت القيام بذلك الى ابني فاطمة ابتغاء وجه الله وقربة الى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وتكريماً لحرمته وتشريفاً لوصلته»[2].

وله كلام عند قبر رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لما دفن سيدة النساء فاطمة الزهراء سلام الله عليها يصف واقع الحال وما حل به بعد احداث السقيفة وما بعدها يشكو لرسول الله (صلى الله عليه واله

---

١ . المصدر نفسه، جـ٤، ص٦٣١ .
٢ . المصدر نفسه، جـ٣، ص٤٦٠ .

وسلم) الاحداث والوقائع عليه وعلى زوجته الزهـــراء فمنها: «وستنبئك ابنتك بتضافر امتك علـــى هضـــمها فاحفها السؤال واستخبرها الحال هذا ولم يطل العهد ولم يخل منك الذكر»[1]، وهذا النص يشير اشارة واضحة انها سلام الله عليها ذهبت حزينة لما جرى عليها غير راضية بل غاضبة، روى البخاري في صحيحه «ان رســـول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قال: فاطمة بضعة مني فمن اغضبها اغضبني»[2].

المبحث الثالث: بعد المستقبل

المستقبل ذلك المجهول الذي يخافـــه الانســـان ويـــتمنى معرفته، ولكن حركته خاضعة الى عوامل محركة لصناعته لها ارتباط في ماضيه وحاضره ومستقبله لا انفكاك بينهما ولكن على نحو التقدم والتطور لا يمكن الرجوع وهـــذه هي السنوات المستمرة وهذا هو التاريخ وحركته فـــلا

---

١ . نهج البلاغة، جـ٣،ص٣٩٦ .

٢ . البخاري، الصحيح، جـ٢، ص٨٥٣ ؛ مسلم، ابن الحجاج القشيري النيابوري، صحيح مسلم، «القاهرة: مؤسسة المختار، ١٤٢٦هـ)، ص١٠٣٥ مع اختلاف عبارة يغضبني الى يؤذيني.

الماضي تخلف ولا الحاضر ولا حتى المستقبل لان حركة وعجلة التاريخ الى الامام لا الى الخلف، ولكنها دروس تقرأ وتتجدد الآليات والرؤى والافكار، ان الحضارة الحديثة قد ركزت على التطور المادي مع تأخر مأساوي في مجال المعنويات[1]، وهو ما يخالف الثقافة الاسلامية التي تنظر الى التطور وحركة التاريخ مصاحبة للاثنين المادي والمعنوي، وهكذا هو رؤية الامام (عليه السلام) للتاريخ وحركته فهو يتحدث عنه باعتباره رجل الرسالة والعقيدة والقائد الحضاري والمفكر المستقبلي[2].

ان اهتمامات الامام (عليه السلام) بحركة التاريخ هو لحل اشكالية الانسان مع تغير قدرته على التكامل الروحي والمادي مع الحفاظ على الطهارة الانسانية[3] قال تعالى: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم

---

١ . للمزيد ينظر: شمس الدين، محمد مهدي، حركة التاريخ عند الامام علي عليه السلام دراسة في نهج البلاغة، (بيروت: المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٤١٨هـ)، ص٢٤ .

٢ . المرجع نفسه، ص٢٩ .

٣ . المرجع نفسه، ص٣٠ .

بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَـذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ»[1]، هذه السنن تحكم المستقبل وهذه الاية تمييز بين الحركة المادية الصرفة والحركـة المركبـة وربما هي اشارة الى من يعتمد المدرسة المادية (كـالفكر الغربي) او من يعتمد المدرسة المركبة –الدنيو–آخروية– كالفكر الديني الاسلامي والاديان الاخرى فهو فكـر يعتمد الثنائية في ثقافته وينفي الاحادية في التفكير.

ان التفسير الاسلامي لحركة المجتمع لا يتـبنى النظـرة الاحادية لحركته وانما يدخل عناصر اخرى مؤثرة فيه[2]، في حين ترى المادية التاريخية ان الانتاج هو اساس التطور الاجتماعي فعليه يجب البحث في تطور القوى المنتجـة لانها المحور الرئيسي لتحرك البشرية[3]، ثم تطورت المفاهيم

---

١ . الاعراف / ٩٦ .

٢ . للمزيد ينظر: الحصيني، عبد الرحيم، مستقبلنا المعالم النظرية لاستشراف المستقبل الاسلامي، (قم: دار الغدير، ١٤٢٤هـ)، ص٧٦ .

٣ . كيللـه، فلاديسلاف وما تفي كوفالسون، المادية التاريخيـة دراسـة فـي نظريـة المجتمـع الماركسـية، (موسكو، دار التقدم، بلا)، ص٣٨٤ .

بتركيز الفردانية وجعله المركز الـذي تـدور حولـه المصالح، لذا يقول برتراند رسـل: «ان شـعور المـرء بكرامته يعني معرفته لقيمته الذاتية واهميته من حيث هو انسان وعدم تضحيته لمصالحه في سبيل مصالح الغـير»[1]، هذه الثقافة قد غزت العالم اليوم في حين ان ثقافة الفكر الاسلامي تعتمد روح الايثار وقضـاء مصـالح الغـير لكسب الخير في الدنيا والاخرة وهي ثقافة قد انحسرت حتى في عالمنا اليوم بتأثير الفكـر المـادي وانتصـاره الحضاري.

كان امير المؤمنين (عليه السلام) يعي المرحلة التاريخيـة ويعرف ويشخص داء الامة ودوائها لذا كـان يهـتم بالحركة التاريخية وما ستؤول اليه الامور بعده فقد حذر من ظاهرة الاموية المتصاعدة، لذا اخبر بظهور معاويـة على مسرح الاحداث لعوامل عديدة سـاعدته علـى الظهور السياسي لذا قال لاهل الكوفة: «اما انه سيظهر عليكم بعدي رجل... يأكل ما يجـد ويطلـب مـا لا

---

١ . رسل، برتراند، السلطة والفرد، ترجمة: نوري جعفر، (كولونيا: منشورات الجمل، ٢٠٠٥م)، ص٨٠ .

يجد.....»[1]، ويبدو ان امير المؤمنين (عليه السلام) يريد ان يبين مستقبلهم أي الكوفة وغيرها ستخضع لحكم معاوية طويلاً.

كان امير المؤمنين (عليه السلام) قد اعلم غيره بعد الفتنة التي اطاحت بعثمان ولما اراده الناس رفض ولكنهم اصروا فقال: «دعوني والتمسوا غيري فانا مستقبلون امراً له وجوه والوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول...»[2]، وهي اشارة صريحة الى تعقد المسرح السياسي وصعوبة اعادة النظرية الاسلامية والتخلص من بعض النظم التراكمية التي بنيت على الحكم الاجتهادي الفردي وفيها التفاضل الاجتماعي وظهور الطبقية في المجتمع التي تركزت كثقافة لدى الطبقات المترفة بل تطمح بالمزيد واذا بها ترى العكس الرجوع الى المساواة.

ومن خطبة له يصف حال الظاهرة الاموية في التغير الاجتماعي والتسلط السياسي فيقول: «ولا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم الا نافعاً لهم او غير ضائر

---

١ . نهج البلاغة، جـ١، ص١١٣ .
٢ . نهج البلاغة، جـ١، ص١٧٨ .

بهم...»[1]، وهذا شأن الحكومات الاستبدادية الى يومنا هذا، ويمكن للباحث ان يدرس قيام الدولة الاموية ويرى بنفسه واقعها ويحكم بشكل موضوعي غير مؤدلج لها وعليها.

فان الظاهرة الاموية يشخصها امير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته بالتغير الاجتماعي والتغير الديني لذا يقول: «واصاب البلاء من ابصر فيها» أي نزل به بلاء الانتقام من بني امية بعد معرفته الحق[2]، ثم تسقط هذه الدولة بعد ان تأخذ دورها ويتسع ظلمها فيأتي «بمن يسومهم خسفاً، ويسوقهم عنفاً، ويسقيهم بكأس مصبرة لا يعطيهم الا السيف»[3]، ويعطي امير المؤمنين (عليه السلام) نهايتها وقيام غيرها بحد السيف وذلك يبدو من كلامه مصير الاستبداد السياسي والدول الظالمة التي لا تعي واقعها التاريخي اذ تظلم مجتمعها ثم مصيرها الانهيار،

---

١ . المصدر نفسه، جـ٢، ص١٨٤ .

٢ . المصدر نفسه، جـ٢، ص١٨٤ جمعاً بين المتن والشرح.

٣ . نهج البلاغة، جـ٢، ص١٨٥ .

وهذا ما يكتشفه من اشتغل بالحقل التاريخي كحقل من حقول المعرفة بل ان التفكير التاريخي لون من النشاط المعرفي الذي يقوم به العقل الانساني، ان ديكارات يصرح بان فكرة الماضي فكرة طبيعية متوارثة في التكوين الانساني[1]، لذا تكون دراسة ابعاد التاريخ مهمة في تطور المجتمعات بل انها تهتم كثيرا بمستقبلها بوضع الخطط والبرامج الاساسية لتطورها.

والوصول الى تكاملها ببعث وعيها التاريخي ودراسة حالات التقدم فيه والتراجع فليس التاريخ وحركته في تطور نحو الازدهار او الانهيار بل حالات متبادلة تؤثر فيها جملة من العوامل الداخلة في انحرافها وتصاعدها وتنازلها كأي حضارة من حضارات التاريخ، مثل الحضارة الاسلامية وتأخرها وتدهورها في كل البنى التحتية وان وجدت في اصل نظريتها كافة اصول واسس القوانين والتشريعات الانسانية لكن الممارسات

---

١ . كولنجوود، ر . ج، فكرة التاريخ، ترجمة: محمد بكر خليل ن راجعة: محمد عبد الواحد خلاف، (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٨م)، ص٤٢٨ .

والتطبيقات تخالفها وهو ما اشار اليه امير المؤمنين (عليه السلام) في تغيير بني امية لاصل النظرية الاسلامية فقال: «والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرماً الا استحلوه ولا عقداً الا حلوه.... وحتى يقوم الباكيان يبكيان: باك يبكي لدينه وباك يبكي لدنياه...»[1].

ويقول في موضع اخر عن هذه الرؤية المستقبلية الحتمية التي نقلها عن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم): «فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة ان الذي انبئكم به عن النبي الامي (صلى الله عليه واله وسلم) ما كذب المبلغ ولا جهل السامع....»[2]، وهنا يؤكد امير المؤمنين (عليه السلام) اقربيته من خط الرسالة ويعلن صراحة مصادر معرفته هذه ليثبت حاجة الامة الى الامام المعصوم وهي نظرية الشيعة من الامامية.

ثم يذكر احد الامويين ويعبر عنه بقوله: «لكأني انظر الى ضليل قد نعق بالشام وفحص براياته في ضواحي

---

١ . نهج البلاغة، جـ٢، ص١٩٠ .
٢ . نهج البلاغة، جـ٢، ص١٩٤ .

كوفان»[1] وهي اشارة الى عبد الملك بن مروان (٦٥هـ – ٨٦هـ) الذي دخل الكوفة وقد نزل بظهرها فخرجوا اليه وبايعوه وقد عمهم ترغيبه وترهيبه[2].

واشار الامام (عليه السلام) في حدوث الفتن في مستقبل الايام لحركة صاحب الزنج الذي خرج سنة ٢٥٥هـ وانتهت فتنه سنة ٢٧٠هـ فقال: «فويل لك يابصرة.....من جيش.... لا رهج له ولا حس وسيبتلى اهلك بالموت الاحمر والجوع الاغبر»[3] وسميت هذه الثورة بثورة العبيد او ثورة الزبخ واستمرت طويلاً[4]، وفي موضع اخر اخبر عن ملاحم البصرة لذات خبر

---

١ . المصدر نفسه .

٢ . للمزيد ينظر : المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (بيروت : دار الكتاب العربي، ١٤٢٥هـ)، جـ٣، ص١٢٩ ؛ الدينوري، ابو حنيفة احمد بن داود، الاخبار الطوال، تحق: عبد المنعم عامر، مراجعة : جمال الدين الشيال، (قم: المكتبة الحيدرية، بلا)، ص٣١٣ .

٣ . نهج البلاغة، جـ٢، ص١٩٦ .

٤ . للمزيد ينظر : علبي، احمد، الاسلام والمنهج التاريخي، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٥م)، ص١٣ وما بعدها.

صاحب الزنج يصف قائدهم: «كاني بـه وقـد سـار بالجيش الذي لا تكون له غبار ولا لجب ولا قعقعة لجم ولا حمحمة خيل، يثيرون الارض باقدامهم كانها اقـدام النعام.....»[1]، ثم يقول (عليه السلام): «ويل لسككم العامرة والدور المزخرفة التي لها اجنحة كاجنحة النسور وخراطيم كخراطيم الفيلة من اولئك الذين لا ينـدب قتيلهم ولا يفقد غائبهم....»[2]، صاحب الـزنج دخـل البصرة سنة ٢٥٧هـ واعمل جيشه سيوفهم دون رحمة وخربت البصرة على ايديهم واصبح مثلاً سائراً علـى الزمن[3]، ويذكر الطـبري (ت٣١٠هـ) في تاريخـه الاحداث مفصلة وما عمله صاحب الزنج بالبصـرة في احداث سنة (٢٥٧(هـ من حرق الدور والمسـاجد اذ حرق المسجد الجامع وغدر بالناس بعـد اجتمـاعهم[4]

---

١ . نهج البلاغة، جـ٢، ص٢٣٨ .
٢ . نهج البلاغة، جـ٢، ص٢٣٨ .
٣ . عُلبي، الاسلام والمنهج التاريخي، ص٦٧ .
٤ . الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحق: محمد ابو الفضل ابراهيم،

وغيرها مما يشيب رأس الانسان بذكره مثل ما قال امير المؤمنين (عليه السلام) واخبر به.

ورد عليه بعض اصحابه ان هذا الذي تخبر به عن المستقبل هو علم الغيب فنفى امير المؤمنين (عليه السلام) ان يكون من علم الغيب فقال: «ليس هو بعلم غيب، وانما هو تعلم من ذي علم، وانما علم الغيب علم الساعة.... الذي لا يعلمه احد الا الله وما سوى ذلك فعلم الله نبيه فعلمنيه ودعا لي بان يعيه صدري وتضطم عليه جوانحي»[1].

وهنا يؤكد الامام مصادر معلوماته عن هذه الاحداث في التاريخ الاسلامي فينسب ذلك الى الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) ولا يدعي علمه بالغيب ابداً وهنا لانقول ان الامام مؤرخاً بل المستفاد من ذلك اهتمامه بالحركة التاريخية ودورها في البناء الاجتماعي الذي يستدعي منا البحث في هذا الحقل لنعرف حركة التاريخ

(القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٠م)، جـ٩، ص٤٨١ وما بعدها.

١ . نهج البلاغة، جـ٢، ص٢٣٩ .

ومجريات الاحداث وبناء المستقبل والعمل على التطـــور والبناء والتجديد في مختلف المجالات.

وفي خطبة له رائعة تصف تغير الزمان والاحوال بالناس على مستوى العلاقات الاجتماعية لـــذا ارشـــدهم الى الركون الى العلماء الربانيين بقوله: «فاســـتمعوا مـــن ربانيكم»[1]، هذا الوصف بالمفاهيم المعروضة تشابه زماننا هذا تماماً فقد قال: «وتوآخى الناس علـــى الفجـــور، وتهاجروا على الدين، وتحابوا على الكذب، وتباغضـــوا على الصدق، فاذا كان ذلك كان الولد غيظا، والمطـــر قيظا، وتفيض اللئام فيضا، وتغيض الكرام غيضا، وكان اهل ذلك الزمان ذئاباً وسلاطينه سباعاً واوساطه اكالاً، وفقراؤه امواتاً، وغـــار الصـــدق، وفـــاض الكـــذب واستعملت المودة باللسان، وتشاجر الناس بـــالقلوب، وصار الفسوق نسباً، والعفاف عجباً ولـــبس الاســـلام ليس الفرو مقلوباً»[2] ذكرتها بطولها لاهميتها اذ تكشـــف عن واقع ما وصل اليه الناس اليوم فاغلب هذه المفاهيم

---

١ . نهج البلاغة، جـ٢، ص٢٠٦ .
٢ . المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٠٧ .

اصبحت تحكم جملة من العلاقات الاجتماعية السائدة بين الناس.

ومن عجيب ما يذكره عن الازمنة التي تكون مشابهة لزماننا هذا فانظر وتأمل قوله: «يأتي زمان لا يبقى فيهم من القرآن الا رسمه ومن الاسلام الا اسمه ومساجدهم غامرة من البناء خراب من الهدى....»[1].

وهناك خطب اخرى يذكر فيها الملاحم قد تتشابه مع ما اخترناه من الكلمات والخطب في رؤيته المستقبلية للاحداث ونحن اذ ندرس هذا الفكر نقرر ان اهتمام المعصوم بايراد مثل ذلك يؤكد الاهتمام الكبير بمثل هذه الدراسات وان اختلفت المصادر فمصادره علم تعلمه من الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وعلمنا نتيجة لاعمال الفكر والنظر والتأمل وهكذا هي نظريات فلسفة التاريخ بانواعها في مختلف المدارس التفسيرية لحركة التاريخ وعلله.

اذ ان التفسير المادي لا يؤمن الا بالمحسوس ويستبعد الغيبيات من مجال بحثه ولا يسلم اصلاً بوجودها، وقد

---

١ . المصدر نفسه، جـ٤، ص٦٤٠ .

ظهر هذا المنهج للتفسير كرد فعل للمنهج الروحي المستمد من التفسير المسيحي للتاريخ[1]، ان الاسلام برؤيته لحركة التاريخ يعدد العوامل المحركة للتاريخ ولكن هناك سنن ثابتة وقوانين يتحرك بها التاريخ ويخضع لجملها، فان الوعي التاريخي بالمركب الثقافي الاسلامي – الدنيواخروي– وارجاع القوى المحركة الغير محسوسة الى خالقها مع ارجاع القوى المحركة لعوامل الانسان ووجوده وقيمه ومفاهيمه كلها تدخل عوامل محركة للتاريخ كما ذكر ذلك امير المؤمنين (عليه السلام) في اغلب خطبه فان نتائج الظلم والاستبداد معلومة وهو ما آلت اليه الماركسية بتصورها ان لا خالق لهذا الوجود فانهارت الى غير رجعة.

فالاسلام يعتمد الاعتدال ولا يفسر الاشياء بردودها فله نظرة واقعية للاشياء لا يترك الدنيا ويعمل للاخرة بل يعمل للاثنين باوامر الهية معللة بالمصالح والمفاسد تجعل

---

١ . طحطح، خاليد فؤاد، في فلسفة التاريخ، (بيروت: دار العربية للعلوم ناشرون، ١٤٣٠هـ)، ص٦٨ .

من الفرد المسلم مثال الاخلاق والمعرفة والاعتدال هذه هي ثقافة الاسلام من مصادرها الاصيلة القرآن والسنة وسيرة الائمة عليهم السلام وفي خطبة لـه عـن اخـر الزمان يقول: «واعلموا انكم ان اتبعتم الداعي لكـم سلك بكم منهاج الرسول»[1]، وهذا المنـهاج لا يمكـن تحديده بالامد التاريخي وتقييده بمدة زمنية ينتهي امـدها وهو ما يعرف بالتاريخية التي لا توافق الحداثة وما بعدها، ان القيم الاخلاقية والتشريعات الضامنة لحقوق البشـر وبيان اسس العلاقات الاجتماعية وفق اصول تكـوين الجنس البشري تحكمها طبيعة الانسان ومراداته الذاتية في البحث عن مسلك النجاة والوصول الى الاسـتقرار العقلي بمساعدة وارشاد النقل.

الخلاصة

بعد هذه الجولة في الابعاد التاريخية لفكر امير المـؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة يمكن استنتاج ما يأتي:

---

١ . نهج البلاغة، جـ٢، ص٣٠١.

١- اهمية الفكر التاريخي عند امير المؤمنين (عليه السلام) اذ اوصى بالاستفادة من حركته للموعظة والعبرة واجتياز مراحل الحياة الدنيا الى الاخرة.

٢- الدعوة للنظر في الماضي بوصفه حركة للتاريخ البشري وبالاخص تاريخ الحركة النبوية وسيرهم.

٣- رؤية الواقع ومحاولة تغييره حسب البنية الاجتماعية بعلاقات متوازنة اذ وضح (عليه السلام) علاقته الخاصة برسول الله (صلى الله عليه واله وسلم).

٤- وفي البعد المستقبلي اكد امير المؤمنين (عليه السلام) على ان مصادره في كشف الاحداث المستقبلية هو ليس علم الغيب وانما هو علم تعلمه من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم).

الباحثان

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

آملي، جوادي.

١. الحكمة النظرية والعملية في نهج البلاغة، (قم: ذوى القربى، بلا).

البخاري، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ).
٢. صحيح البخاري، اعتنى به: محمد محمد تامر، (القاهرة: مؤسسة المختار، ١٤٢٤هـ).
التيموي، الهادي.
٣. نظريات المعرفة التاريخية وفلسفات التاريخ في العالم الغربي في النصف الثاني من القرن العشرين مختارات معربة، (تونس: المجمع التونسي للعلوم والادآب والفنون، ٢٠٠٨م).
الثقفي، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن سعيد (ت ٢٨٣هـ).
٤. الغارات، تحق: عبد الزهراء الحسيني، (دمشق: دار الكتاب الاسلامي، ١٩٩٠م).
الجابري، محمد عابد.
٥. نحن والتراث قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٣م).
ابن حبان، ابو حاتم محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ).

٦. تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الاخبار، تحق: بوران الضناوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ).
الحصيني، عبد الرحيم.
٧. مستقبلنا المعالم النظرية لاستشراف المستقبل الاسلامي، (قم: دار الغدير، ١٤٢٤هـ)
الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ).
٨. تاريخ بغداد مدينة السلام، تحق: صدقي جميل العطار، (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٤هـ).
الدينوري، ابو حنيفة احمد بن داود (ت ٢٨٢هـ).
٩. الاخبار الطوال، تحق: عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال، (قم: المكتبة الحيدرية، بلا).
الراغب الاصفهاني، ابو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ).
١٠. المفردات في غريب القرآن، ضبط: هيثم طعيمي، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ).
الربيعي، حسن كريم ماجد.

١١. النقل والعقل دراسة في حاجة العقل للنقل، بحث غير منشور.
رسل، برتراند.
١٢. السلطة والفرد، ترجمة: نوري جعفر، (كولونيا: منشورات الجمل، ٢٠٠٥م).
الركابي.
١٣. السنن التاريخية في القرآن المجيد، (بيروت: دار النهضة الاسلامية، ١٩٩٦م).
السند، محمد.
١٤. العقل العملي دراسة منهجية في الحسن والتصبح العقليين والبرهان في الجزئيات والادراكات الاعتبارية، (قم: منشورات الاجتهاد، ١٤٢٩هـ).
الشريف الرضي، ابو الحسن محمد بن الحسن الموسوي (ت ٤٠٤هـ).
١٥. نهج البلاغة وهو مجموع ما اختاره من كلام امير المؤمنين ابي الحسن علي بن ابي طالب (عليه السلام)، شرح: محمد عبده، تحق: عبد العزيز سيد الاهل، (بيروت: دار الاندلس، ١٣٨٢هـ).

شمس الدين، محمد مهدي.
١٦. حركة التاريخ عند الامام علي (عليه السلام) دراسة في نهج البلاغة، (بيروت: المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٤١٨هـ).
الصدر، محمد باقر (ت ١٤٠٠هـ).
١٧. المدرسة القرأنية، (قم: شريعة، ١٤٢٦ه).
الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)
١٨. تاريخ الرسل والملوك، تحق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٠م).
طحطح، خالد فؤاد.
١٩. في فلسفة التاريخ، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ١٤٣٠هـ).
عُلبي، احمد.
٢٠. الاسلام والمنهج التاريخي، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٥م).
ابن قرناس.
٢١. سنة الاولين تحليل مواقف من الدين وتعليلها، منشورات الجمل، ٢٠٠٨م.

الكفيشي، عامر.
٢٢. حركة التاريخ في القرآن الكريم، (بيروت: دار الهادي، ١٤٢٤هـ).
كولنجوود، ر . ج .
٢٣. فكرة التاريخ، ترجمة: محمد بكير خليل، راجعه: محمد عبد الواحد خلاف، (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٨م).
كيلله، فلاد يسلاف وما تفي كوفالسون.
٢٤. المادية التاريخية دراسة في نظرية المجتمع الماركسية، (موسكو: دار التقدم، بلا).
محمود، زكي نجيب.
٢٥. تجديد الفكر العربي، (بيروت: دار الشروق، ١٤٠٢هـ).
المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ).
٢٦. مروج الذهب ومعادن الجوهر، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٥هـ).

مسلم، ابن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ).
٢٧. صحيح مسلم، (القاهرة: مؤسسة المختار، ١٤٢٦هـ).
المطبعي، حميد.
٢٨. العلامة الدكتور حسين علي محفوظ، (بغداد: دار الشؤون الثقافية، ١٩٧٩م).
النائيني، محمد حسين (ت ١٣٥٥هـ).
٢٩. تنبيه الامة وتنزيه الملة، تعريب: عبد الحسين آل نجف، (قم: سبهر، ١٤١٩هـ).
نور الدين، عباس.
٣٠. عهد امير المؤمنين الى القادة والمسؤولين، (بيروت: مركز بقية الله الاعظم، ١٩٩٨م).
هرنشو.
٣١. علم التاريخ، ترجمة: عبد الحميد العبادي، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٧م).
هيلند، ربرت.

٣٢. تاريخ العرب في جزيرة العرب من العصر البرونزي الى صدر الاسلام ٣٢٠٠ ق. م – ٦٣٠م، ترجمة: عدنان حسن، مراجعة: زياد منى، (بيروت: قدمس للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م).